سيبويه ونشاطه النحوي

بقلم: عصريه
محاضرة اللغة العربية فى كلية الأداب وعلوم الإنسانية

Abstrak

Nama lengkap Sibawaih Abu Basyar Amr bin Utsman bin Qanbar. 'Sibawaihi' sendiri sebenarnya adalah julukan, tetapi julukan ini lebih dikenal daripada nama aslinya sendiri. Julukan ini dipandang unik, karena belum ada orang yang mendapat julukan yang sama sebelumnya. Beliau diperkirakan lahir tahun 137 H di Ahwaz (Persia). Beliau wafat pada usia belia pada tahun 177 H. sekitar 40 tahun. Pada usia muda ia sudah rajin mengunjungi pengajian dalam bidang fikih dan hadits. Dalam ilmu hadis berguru kepada Hammad bin Salamah bin Dinar al-Basri (w. 167 H), seorang ahli hadis terkenal pada masanya, yang juga mendalami ilmu nahwu (gramatika) dan saraf (morfologi) serta pernah menduduki jabatan mufti kota Basra. Sibawaihi hanya meninggalkan sebuah buku besar yang menghimpun kaidah dan dasar-dasar bahasa Arab. Buku ini merupakan khazanah ilmu bahasa Arab yang tiada tandingannya, baik sebelum maupun sesudahnya. Oleh karena itu, buku ini masih terus dipelajari penuntut ilmu bahasa Arab sampai sekarang. Akan tetapi, karya ini tidak berjudul. Sibawaihi mendasarkan penyusunan kaidah-kaidah tata bahasa Arab dengan tiga macam metode, yaitu dengan mendengar (*sima'*), membuat alasan (*ta'lil*), dan membuat analogi (*qiyas*).

Kata Kunci: Sibawaihi, Bahasa Arab, sima', ta'lil, dan *qiyas*.

أولا: مقدمة

سيبويه أبو بشر عمر بن عثمان قنبر من مولى بني الحارث بن كعب[١] ، نشأ بالبصرة ورغب في تعلم الحديث والفقه، إلى أن لحقه التأنيب ذات يوم بشأن حديث شريف من شيخه حماد البصرى [٢] قال ابن هشام (وذلك أنه جاء إلى حماد بن سلمة لكتابة الحديث فاستملى منه قوله ص م "ليس من أصحابي أحد إر ولو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء "فقال سيبويه : ليس أبو الدرداء، فصاح به حماد : لحنت يا سيبويه ، إنما هذا

استثناء، فقال سيبويه : والله لأطلبن علما ر يلحنني معه أحد ، ثم مضى ولزم الخليل وغيره [٣].

فكما أخذ عن الخليل أخذ عن يونس وعيسى بن عمر وبرع فى النحو حتى بزا أترالابه فيه، فاحتفى به علماء البصرة التى صار إمامها غير مدافع، وأخرج للناس كتابه الذى أكسبه فخار الأبد، فإنه شاهد صدق على علو كعبه فى هذا الفن.

كان سيبويه تلميذ الخليل الخاص،[٤] استوعب علمه، وورث ملكته في القياس والإبتكار، ولزم طريقته في التوثق مما يسمع عن العرب. وأودع هذاكله " الكتاب " الذى لولاه لضاع علم الخليل في النحو والصرف، ولم يقتصر سيبويه على علم الخليل بل جمع إليه علم كثير من الفحول المشهورين في عصره.

ولما توفي الخليل خلفه – على ما يظهر – في حلقته إذ نجد كتب طبقات النحاة تنص على طائفة من تلاميذه مثل الأخفش وقطرب، وأكب حينئذ على تصنيف الكتاب، وسرعان ما أخذ نجمه يتألق لا في البصرة دار النحو فحسب، بل أيضا في بغداد ، ورحل إليها طامها إلى الشهرة في حاضرة الدولة ، وحدث أن التقى بالكسائى مقرئ الكوفة ومؤدب الأمين بن الرشيد ، ويقال إنه لقيه قبل الكسائى بعض أصحابه: الأحمر وهشام والفراء ليهونوا منه. ولم يلبث صاحبهم أن تعرض له بالسؤال في المسألة الزنبرية، إذ قال له كيف تقول: " قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي أو فإذا هو إياها؟ " فقال سيبويه: فإذا هو هي، ولا يجوز النصب. قال الكسائى لحنت، العرب ترفع ذلك كله وتنصبه. فدفع سيبويه قوله، وطال بينهما الجدال، وكان بالباب نفر من عرب الحطمة النازلين ببغداد، ممن ليسوا في درجة عالية من الفصاحة، فطلب الكسائى سؤالهم، ولما سئلوا تابعوه في رأيه. فانكسر سيبويه كما يقول الرواة، وإن كنا نتهم قولهم، لأن الحق كان في جانبه، لما يقتضيه القياس في هذا الموضع، ولأنه يطرد الرفع فيه أي الذكر الكريم[٥]. وكان سيبويه ونحاة البصرة يهدرون ما يجري على لسان عرب الحطمة لما دخل على سلائقهم من ضعف بسبب إقامتهم في الحاضرة ، بل لقد كانوا يهدرون ما جاء على السنة بعض البدو من لغات شاذة لا تجري من القياس المستنبط من كثرة ما يدور على السنة الفصحاء كالجر بلعل والجزم بلن. ولا بد أن سيبويه شرح ذلك في حواره ومناظرته مع الكسائى، وإن كان الرواة للحادثة لم يدونوه. ويقال إن يحي البرمكي أجازه بعشرة آلاف درهم. ويظهر أنه لم تطب له الإقامة ببغداد فولى وجهه نحو موطنه، غير أن الموت عاجلة في شيراز، وقيل في همذان أو ساوة، واختلف الرواة في تاريخ وفاته، والأرجح أنه توفي سنة ١٧٠ للهجرة[٦].

بناءا من مقدمة السابقة أرادة الكاتبة أن تبحث مقالة حول سيبويه ونشاطه العلمي، كتابه، وأراؤه في التعريفات والعوامل والمعمولات، وموقفه في السماع والتعليل والقياس.

ثانيا: المبحث

١. نشاطه العلمي

اشتهر بلقبه سيبويه وهو لقب أعجمي يدل على أصله الفارسي[٧]، ولد بقرية من قرى شيراز تسمى البيضاء وفيها أو في شيراز تلقن دروسه الأولى، وطمحت نفسه للإستزادة من الثقافة الدينية، فقدم البصرة وهو لا يزال غلاما ناشئا، والتحق بحلقات الفقهاء المحدثين، ولزم حلقة حماد بن سلمة بن دينار المحدث المشهور حينئذ، وحدث أن لفته إلى أنه بلحن في نطقه ببعض الأحاديث النبوية، فصمم على التزود أكبر زاد بشؤن اللغة والنحو، ولزم حلقات النحويين واللغويين وفي مقدمتهم عيس بن عمر والأخفش الكبير ويونس بن حبيب، واختص بالخليل بن أحمد، وأخذ منه كل ما عنده في الدراسات النحوية والصرفية، مستمليا ومدونا، واتبع في ذلك طريقتين: طريقة الإستملاء العادية، وطريقة السؤال والإستفسار، مع كتابة كل إجابة وكل رأي يدلى به وكل شاهد يرويه عن العرب، وبذلك احتفظ بكل نظراته النحوية والصرفية.

ولم تذكر كتب التراجم أنه رحل إلى البادية في طلب اللغة والسماع عن العرب ومشافهتهم، غير أن ما يتردد في كتابه من مثل قوله: " سمعنا بعض العرب يقول " و " سمعنا العرب تنشد هذا الشعر " و " سمعنا من العرب " وهو "كثير من جميع لغات العرب " و " عربي كثير " و " عربي جيد " و " قد سمعناهم " و " قال قوم من العرب ترضى عربيتهم " و " سمعنا من العرب من يوثق بعربيته " يدل على دلالة قاطعة على أنه إلى بوادى نجد والحجاز مثل أستاذه الخليل. والكتاب يفيض بسيول من أقوال العرب وأشعارهم، لا يرويها عن شيوخه، وهي بدورها تؤكد، بل تحتم، أنه رحل إلى ينابيع اللغة والنحو يستمد منها مادة وعتادا فصيحا صحيحا بشاراته في النطق وحياته.

٢. كتبه

من المؤكد أن سيبويه بدأ تأليف الكتاب بعد وفاة الخليل، وجمع في كتابه ما تفرق من أقوال من تقدمه من العلماء كأبي الخطاب الأخفش والخليل ويونس وأبي زيد وعيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء وغيرهم[٨]. وقد حمله عند تلميذه الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة، وأذاعه في الناس باسم " الكتاب " علما اختص به هذا المصنف وحده دون بقية المصنفات في عصره، بحيث كان يقال في البصرة " قرأ فلان الكتاب " فيعلم أنه كتاب سيبويه دون شك. وظل هذا الاسم خاصا به، ردلالة على روعة تأليفه وإحكامه. ونرى كثيرين من النحاة وغيرهم ينوهون به تنويها عظيما، من ذلك قول أبي عثمان المازني تلميذ الأخفش: " من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي " ويقول الجاحظ : " أردت الخروج إلى محمد بن عبد المالك (الزيات وزير المعتصم) ففكر ت في شيئ أهدية إليه، ولم أجد شيئا أشرف من كتاب سيبويه ، وقلت له: أردت أن أهدي إليك شيئا ، ففكرت، فإذا كل شيئ عندك، فلم أرى أشرف من هذا الكتاب، وقد اشتريته من

ميراث الفراء، فقال ابن عبد الملك: والله ما أهديت إلي شيئا أحب إليه منه ". ويقول أبو الطيب اللغوى فيه وفي كتابه: هو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل، وألف كتابه الذي سماه الناس قرآن النحو " . ويقول السيرافى: " وعمل كتابه الذى لم يسبقه أحد قبله، ولم يلحق به من بعده " . ويقول المبرد: لم يقبل كتاب في علم من العلوم مثل كتاب سيبويه " . ويقول صاعد بن أحمد الأندلوسى: " لا أعرف كتابا ألف في علم من العلوم قديمها وحديثها، اشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بأجزاء ذلك غير ثلاث كتب، **أحدها** المجسطى لبطليموس في علم هيئه الأفلاك، والثانى كتاب أرسطاطاليس في علم المنطق، والثالث كتاب سيبويه البصرى والنحوى، فإن كل واحد من هذه لم يشذ عنه من أصول فنه شيئ إلا ما لا خطر له[٩].

قال لنا أبو جعفر أحمد بن محمد: لم يزل أهل العربية يفضلون كتاب أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر؛ المعروف بسيبويه، حتى لقد كال محمد بن يزيد: " لم يعمل كتاب في علم من العلوم مثل كتاب سيبويه، وذلك أن الكتب المصنفة في العلوم مضطرة إلى غيرها، وكتاب سيبويه لا يحتاج من فهمه إلى غيره ".

قال : سمعت أبا بكر بن شقير يقول: حدثني أبو جعفر الطبري قال: سمعت الجرمي يقول : أنا مذ ثلاثين أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه. قال: فحدثت به محمد يزيد على وجه التعجب والإنكار فقال: " أنا سمعت الجرمي يقول هذا – وأومأ بيديه إلى أذنيه. وذالك أن أبا بكر عمر الجرمي كان صاحب حديث، فلما علم كتاب سيبويه تفقه في الحديث؛ إذ كان كتاب سيبويه يتعلم منه النظر والتفتيش ". انتهى.

قال أبو جعفر: وقد حكى بعض النحويين أن الكسائى قرأ الأخفش كتاب سيبويه ودفع له مائتي دينار. وحكى أحمد بن جعفر أن كتاب سيبويه وجد بعده تحت وسادة الفراء التي كان يجلس عليها[١٠].

وينبغى أن لا نظن من ذلك أن الكتاب لم يكفل له منهج سديد في التصنيف فقد نسق سيبويه أبوابه وأحكامه إحكاما دقيقا، وخاصة إذا عرفنا أنه أول كتاب جامع في قواعد النحو والصرف. وقد جعله في قسمين كبيرين، أما القسم الأول فخصه بالنحو ومباحثه، وكاد يترك في هذه المباحث جانبا إلا استقصاه من جميع أطرافه في الجزء الأول من الكتاب وأوائل الجزء الثانى، حتى إذا فرغ المباحث انتقل يبسط في دقة القسم الثانى وما يخوض فيه من المباحث الصرفية محيطا بكل تفاصيلها إحاطة تامة واصلا لها بمادة صوتية واسعة من مثل الحديث من الإمالة والوقف والروم والإشمام والإشباع وما إلى ذلك.

وقد تحول ما ذكره من قواعد النحو والصرف إلى ما يشبه نحوما قطبية ثابتة ظل النحاة بعده إلى اليوم يهتدون بأضوائها في مبا حثهم ومصانفاتهم. ويمكن أن نقول بصفة عامة إن الكثرة من المصطلحات النحوية والصرفية التي لا تزال شائعة على كل لسان في عصرنا كان لكتابه الفضل الأول في إشاعتها وإذاعتها طول العصور، وكأنه لم يترك للنحاة من بعده إلا ما خطر له، كما قال صاعدا آنفا، كأن يميزوا بعض المصطلحات أو يضيفوا

مصطلحات جديدة لغرض الدقة في التوضيح، فمن ذلك أنه عرض لأبواب التوابع عرضا واسعا، وجرت على لسانه كلمات النعت والبدل والتوكيد والعطف ويريد به عطف البيان، ولكنها جميعا يتداخل بعضها في بعض، بحيث يسميها أحيانا صفة، وقد يسمى عطف البيان نعتا،[١١] وجعل التوكيد قسمين : قسما مكررا وقسما غير مكرر، وسماهما التوكيد اللفظي والتكيد المعنوي. وكان يسمى عطف النسق الشركة وحروفه مثل الواو حروف الإشراك. وقد لا يضع الإصطلاح الخاص المميز كأن نجده يقول: "هذا باب نظائر ضربته ضربة ورمية رمية" وسمي النحاة الباب بعده "اسم المرة" . ويقول : "هذا باب ما علجت به" وسماه النحاة بعده "اسم الآلة" مثل المقص. ويقول "هذا باب اشتقاق الأسماء لمواضع بنيات الثلاثة التي ليست فيها زيادة من لفظها" مثل مجلس، وسمي النحاة بعجه ذلك "باسم المكان المشتق" ومن مصطلحاته التى تركها الصرفيون مصطلح البيان والتبيين وقد سموه باسم "فك الإدغام" . ويقول هذا باب الفاعلين والمفعولين اللذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل الذى يفعل به وما كان نحو ذلك " مثل كلمت وكلمنى محمد وسمى النحاة هذا الباب باسم "باب التنازع". ويقول: "هذا باب ما يكون فيه الاسم مبنيا على الفعل قدم أو أخر وما يكون الفعل فيه مبنيا على الاسم" وسمى النحاة الباب باسم "باب الإشتغال". ومن ذلك عنوانه في أول الكتاب: "هذا باب مجارى أواخر الكلم من العربية" وهو ما سماه النحاة بعده باسم "أنواع الإعراب والبناء"[١٢].

وتلقانا في مواطن مختلفة من الكتاب ظلال من الغموض والإبهام، وقد يرجع ذلك في الكثير الأكثر إلى أن سيبويه كان يضع قوانين النحو والصرف وضعا مفصلا متشعبا لأول مرة.

٣. أراؤه في التعريفات والعوامل والمعمولات

يغلب على سيبويه أن يعنى في توضيح الباب الذى يتحدث بذكر أمثلته التى نكشفه، يقو

ل مثلا في باب التنازع بعد ذكر عنوانه السالف: "وهوقولك ضربت وضربني زيد، وضربني وضربت زيدا تحمل الاسم على الفعل الذى يليه فالعمل في اللفظ أحد الفعلين وأما في المعنى فقد يعلم أن الأول قد وقع إلا أنه لا يعلم في اسم واحد رفع ونصب، وإنما كان الذى يليه أولى لقرب جواره" ويقول في باب الإمالة: "هذا مال لا تمال فدية الألفات، فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور، وذلك قولك عابد وعالم ومساجد ومفاتيح وعذافر وهابيل. والكثرة الغالبة في أبواب الكتاب تجرى على هذا النحو من تصويرها عن طريق التمثيل وذكر الشواهد، وقد يعمد إلى ذكر الأقسام المنطوى عليها الباب، كقولها في فاتحة كتابه: "الكلم اسم وفعل وحرف جاء بمعنى ليس باسم لا بفعل" وقوله مقسما المنادى إلى منصوب ومرفوع: "هذا باب النداء ، اعلم أن النداء كل اسم مضاف فيه فهو نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره، والمفرد رفع وهو في موضع اسم منصوب" وقوله

في باب التصغير مصورا له في أمثلته أوصيغته: "هذا باب التصغير، اعلم أن التصغير إنما هو في الكلام على ثلاثة أمثالة على فعيل وفعيعل وفعيعيل". وكأنه في كل ذلك أثر المنهج التحليلي الذى يعنى في تصوير الموضوع ببيان أقسامه وتفريعاته مباشرة. وقد يعمد إلى المنهج العقلى المجرد، فيحاول أن يحد بعض ما يتحدث عنه من أبواب عن طريق التعريف الكلى الجامع، من ذلك تعريفه للفعل في السطور الأولى من الكتاب إذ يقول: أما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث (مصادر) الأسماء وبنيت وما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع" وهو تعريف دقيق إذ جمع فيه بين دلالة الفعل على الحدث أي المصدر ودلالته على الزمان الماضى والمستقبل والحاضر، وبذلك شمل التعريف أقسام الفعل الثلاثة: الماضى والأمر والمضارع. وتضمن التعريف مسألة دقيقة طال الجدل بعده فيها خالفيه من البصريين وبين الكوفيين، وهي مسألة أيهما هو الأصل المصدر أو الفعل؟ أو بعبارة أخرى أيهما اشتق من صاحبه؟ وواضح من قول سيبويه: "أما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء" أن المصدر- في رأيه — هو الأصل وأن الفعل مشتق منه[١٣].

العامل هو الذى يحدث الإعراب وعلاماته من الرفع والنصب والجر والسكون. وقد مضى يوزع الأبواب باعتبار العوامل، وبدأ بالفعل، ووزع الأبواب الأولى على لزومه وتعديه إلى مفعول واحد ومفعولين وثلاثة مفاعيل. ثم يحدث عما يعمل عمله من أسماء الفاعل والمفعول والمصادر ونراه في الفعل المتعدى إلى مفعول لا يقف عند المفعول به، بل يضيف إلى ذلك عمله في المصادر أو بعبارة أخرى، كما يضيف عمله في المفعول فيه أو بعبارة أدق في ظرفي الزمان والمكان. ويذكر عمله في المجرور عن طريق الجر، ويلاحظ هنا أن حرف الجر الأصلى قد يحذف ، وينصب المجرور على نزع الخافض مثل تبت زيدا يقول كذا أي عن زيد. ويتحدث عن عمل ما النافية عند الحجازيين عمل ليس مثل: (ما هذا بشرا) ويذكر لات وأنها تعمل أيضا عمل ليس، غير أنها لا تعمل إلا في الحين مع إضمار مرفوعها، وقد يرفع ما بعدها مع إضمار خبرها، ولكن الأول هو الذائع الشائع كما في الذكر الحكيم: (ولات حين مناص) في قراءة الجمهور بنصب (حين مناص) . ويمنع هنا أن تعطف جملة على معمولين لعاملين مختلفين، فلا يقال مثلا: "ما زيد بمنطلق ولا قائم عمرو" بجر قائم عطفا ورفع عمرو عطفا على زيد، وهي صورة بينة الفساد. ويفتح بابا لبحث صورة التنازع المعروفة في مثل "قام ومضى المحمدون". وهذا تصل نظرية الفعل العامل الزروة، إذ يرفض سيبويه هذا التعبير، ويحتم إعمال العامل الثانى في كلمة "المحمدون" لقربه، ويضمر في الأول بحيث يقال: "قاموا ومضى المحمدون" حتى لا يكون الفاعل الواحد فاعلا لفعلين، فيجتمع بذلك مأثران على أثر واحد. وكأنما العوامل النحوية تدخل في المأثرات الحقيقية، وهو بعد في تصور خطر العامل النوى، وقد جره كما جر النحاة بعده إلى أن يرفضوا الصورة الأولى التى جاءت فعلا عن العرب، ويضعوا مكانها هذه الصورة المقترحة[١٤].

ويعقد بابا يصور فيه عمل اسم الفاعل واسم المفعول عامل الفعل، ويتحدث عن عمل صيغ المبالغة وأنها في ذلك تشاكل اسم الفاعل، وهي صيغ فعول ومفعال وفعال وفعل

وفعيل، ويقول إن مفعولها قد يتقدم عليها كما يتقدم على اسم الفاعل والفعل، وقد يفصل بينه وبينها الظرف والجار والمجرور. ثم يتحدث عن المصادر وأنها تعمل عمل أفعالها مثل "ضربا زيدا " أي "اضرب زيدا" ويفرض بابا لبيان الإعمال والإلغاء للأفعال في باب ظن وأخواتها، أما الإعمال فيتحتم إذا تقدم الفعل في مثل "ظننت محمدا منطلقا" وأما الإلغاء فيجوز إذا تأخر الفعل عن مفعوليه أو توسط مثل "محمدا منطلقا ظننت"، "ومحمدا ظننت منطلقا"، ويجوز الرفع في المفعولين على أنهما مبتدأ وخبر، وحينئذ يلغى عمل ظن[١٥].

ويتحدث عن الاسم الفاعل المعرف بالألف والألف واللام وأن ما بعده ينصب مثل " هذا الضارب زيدا " وقد يضاف مثل " هذا الضارب الرجل " بكسر الرجل وجره بالإضافة. ويتحدث عن العمل الصفة المشبهة وأفعال التفضيل ويجعل المنصوب بعدهما في مثل محمد حسن وجها و (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا) مشبها بالمفعول به. ويفرد بابا لتعليق ظن وأخواتها عن العمل، إما لكون المفعول الأول اسم استفهام أو لأن المفعولين دخلت عليهما أداة الإستفهام أو لام الإبتداء مثل (ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الأخرة من خلاق) ومثل: (لنعلم أى الحزبين أحصى)[١٦].

أما العامل في المبتدأ فالإبتداء، وهو العامل المعنوى الوحيد الذى أثبته سيبويه، ويعمل المبتدأ فيما بعده عمل الفعل، أي أنه هو العامل في الخبر وكل ما يكون بعده من مثل الحال. ويفتح فصولا لأن وأخواتها ذاكرا أنها عملت فيها بعدها النصب والرفع تشبها بالفعل، وكأنها بمنزلة كان للزوم المبتدأ والخبر لها، مما جعلها تعمل عمل كان معكوسا. ويتابع الخليل في الوقوف عند دخول ما عليها وجواز إلغاء عملها ويقول إن إن حين تخفف تلغى وتدخلها اللام الفارقة بينهما وبين إن العاملة مثل: (وإن كل لما جميع لدينا مخضرون). ويذكر أن بعض العرب يعملها وهي مخففة فيقول: " إن عمرا لمنطلق ".

والعوامل تعمل مذكورة ومحذوفة، ويكثر حذف الفعل وبقاء عمله مما جعل سيبويه يفرد صحفا كثيرة، حاول فيها أن يستقصى صور حذفه استقصاء دقيقا، وهداه ذلك منذ بادئ الأمر إلى اكتشاف باب الإشتغال الذى يشغل فيه الفعل أو شبهه بضمير أو بملابسه عن العمل في الاسم مثل: " زيدا كلمته وزيدا مررت به وزيدا قرأت كتابه ". وقد جعل زيدا في ذلك كله مفعولا به لفعل محذوف يفسره الفعل المذكور. وقد أكثر سيبويه من عقد الأبواب التى تصور حذف الفعل مع المفعول المطلق جوازا ووجوبا، وهو إنما يجب إذا جاء بدلا من فعله كقولهم في الدعاء له " سقيا ورعيا " أى سقاك الله ورعاك و " هنيئا " أى لتهنأ وقولهم في الدعاء عليه " ويلك وويحك ، وقولهم: " حمدا وشكرا "، وقولهم " سبحان الله ومعاذ الله وعمرك الله.

وعلى نحو ما اتسع سيبويه في الحديث عن حذف العوامل على ما قاله أستاذه الخليل في ذلك اتسع في الحديث عن حذف المعمولات، فمن ذلك الخبر بعد مرفوع لولا في مثل " لولا عبد الله لقيتك "، ويفهم من كلامه فيها أن جوابها أغنى عن الخبر. وكذلك الخبر بعد لو في مثل (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم) فقد جعل أن وما بعدها

في محل رفع بالإبتداء. وقال إن المبتدأ هنا لا يحتاجإلى خبر لاشتمال صلة لولا على المسند اليه والمسند. ويحذف خبر إن مثل " إن ولدا " أى إن لنا ولدا، وخبر ليت مثل: يا ليت أيام الصبا رواجعا " أى لا ليت لنا ، وكذلك خبر لا النافية للجنس ، وجعل منه " الإماء باردا " أى لنا، وكذلك خبر لا العاملة عمل ليس[١٧]. وعلى هذا النحو لا تزال سيول من التحليلات حتى للحركات والحروف تلقانا عند سيبويه.

٤. موقفه من السماع والتعليل والقياس

يجرى سيبويه في السماع على الأساس الذى وضعته مدرسته، كما رأينا عند ابن أبى إسحق وعيسى بن عمر والخليل، وهو النقل عن القراء وعلماء اللغة الموثقين والعرب الذين يوثق بفصاحتهم، واستن بمدرسته في قلة الاستشهاد بالحديث النبوى لأنه روي بالمعنى لا باللفظ ، ودخل في روايته كثيرون من الأعاجم الذين لايؤمنون على اللحن.

ويقول ابن الجزرى إنه أخذ القراءة عن أبى عمرو بن العلاء، إن صح ذلك أنه لم يأخذها عنه مباشرة، إنما أخذها عن بعض تلاميذه، إذ نراه في الكتاب لا يذكر له مسألة إلا من طريق الرواية عن بعض هؤلاء التلاميذ وخصة يونس بن حبيب، مما يدل على أنه لم يلقه. ونظن ظنا أنه حمل قراءة الذكر الحكيم عن هرون بن موسى النحوى الذى يتردد ذكره في الكتاب مع بعض القراءات التى يرويها، وكذلك عن أستاذه الخليل وغيره من أئمة القراءات في البصرة لعصره مثل يعقوب بن إسحق الحضرمى وهو أحد أئمة القراءات العشر. وسيبويه ينكر القراءات التى تخالف القياس، بل عادة لا يعرض لها، ومما وقف عنده الآية الكريمة: (كن فيكن) وكان ابن عامر يقرأ يكون بالنصب ، وهو بذلك يخالف القياس، لأن المضارع لاينصب بعد الفاء مع الأمر، على نحو ما يقرر ذلك سيبويه، إلا إذا كان جوابا له ، ولم يرد الله في رأيه أنه يقول للشيئ كن فيكن، وإنما أراد ان يقول للشيئ كن فحسب، ثم أخبر أنه يكون، ومعنى ذلك أن قوله: (فيكون) كلاما مستقلا لا مترتبا على الأمر. ومن هنا نرى سيبويه يذكر في الآية قراءة الجمهور بالرفع، ولا يعرض لقراءة ابن عامر. ومن ذلك أن نراه لا يعرض لقراءة حمزة: (تساءلون به والأرحام) بخفض الأرحام وعطفها على الضمير المخفوض دون إعادة الخافض مع أنه يقرر أنه لا يصح أن يقال: مررت بك وزيد، بل لا بد من أن يقال: مررت بك وبزيد أى انه لا بد في العطف على الضمير المجرور من إعادة حرف الجر[١٨].

ثالثا: الخلاصة

سيبويه من أكبر النحاة العرب، نشأ بالبصرة رغم أنه فارسي الأصل كما يدل على ذلك لقبه، وهو أشهر تلاميذ الخليل بن أحمد الفراهيدي، الذي استوعب علم أستاذه الخليل، وورث ملكته في القياس والابتكار، ولزم طريقته في التوثيق مما يسمع عن العرب. إنه

أول من احتفظ بعلم الخليل بفضل مؤلفته القيمة حين وضع كتابا به امتنع علم الخليل عن الضياع والزوال.

لقد دل نشاط سيبويه العلمي على أنه تلقن دروسه الأولى في شيراز، ثم ازداد ميله إلى الثقافة الدينية، فقدم البصرة منذ صغره، والتحق هنالك بحلقات الفقهاء والمحدثين، ولزم حلقات النحويين واللغويين، واختص بالخليل بن أحمد الفراهيدي وأخذ عنه نحوه وصرفه.

وبما أنه عالم كبير في النحو العربي، لقد خلد علمه الواسع في كتابه المعنون بعنوان "الكتاب"، وهو كتاب يستحق المدح والثناء عبر العصور والقرون إلى يومنا الحاضر لما قال فيه أبو عثمان المازني: "من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح"، ولما أن هناك ما يشير إلى فواق هذا الكتاب من آراء وافرة من قبل النحاة البارزين.

ومن آرائه المشهورة أن اسم الفاعل المعرف بـ"ال" ينصب المفعول به، وكذلك هو الشأن بالنسبة للمشتقات الوصفية الأخرى، إذ هي تعمل عمل أفعالها، وأن العامل إما أن يكون لفظيا، وإما أن يكون معنويا، كما أن هناك معمولا مذكورا، ومعمولا محذوفا.

وأما موقفه من السماع فيرى أن السماع يمكن الاستشهاد به بشرط أن يكون من القراء المشهورين بقرائتهم وعلماء اللغة الموثقين والعرب الذين يوثق بفصاحتهم، وهو أيضا لا ينكر التعليل، ويشترط في الاشتشهاد بالقراءة ألا تخالف القياس.[1]

---

[١] أنظر ترجمة سيبويه في *مراتب النحويين*. ص. 26.

[٢] الطحطاوى، *نشأة النحو*، ص. 62.

[٣] أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنشاري ، *مغني اللبيب عن كتب الأعارب*، الجزء الأول (الطبعة الأولى، المكتبة العصرية

[٤] سعيد الأفغاني، *من تاريخ النحو* (الطبعثة الثانية: دار الفكر، 1978)، صز 113.

[٥] شوقى ضيف، *المدارس النحوية* (الطبعة الثالثة، مصر، دار المعارف)، ص. 58.

[٦] *نفس المرجع*، ص. 58-59.

[٧] شوق ضيف، *المرجع السابق*، ص. 57.

[٨] الطحطاوى، *نشأة النحوى*، ص. 23.

[٩] *نفس المرجع*، ص. 59-60.

[١٠] سيبويه، *الكتاب*. ص.

[١١] ابن هشام الأنشاري، *المرجع السابق*. ص. 231.

[١٢] شوقى ضيف، *المرجع السابق*، ص. 60-62.

[١٣] سيبويه، *المرجع السابق*، ص. 303.

[١٤] شوقى ضيف، *المرجع السابق*، ص. 65-66.

[١٥] *نفس المرجع.*، ص. 66.
[١٦] *نفس المرجع.*، ص. 67.
[١٧] شوقى ضيف، *المرجع السابق*، ص. 73.
[١٨] سيبويه*المرجع السابق*، ص. 423.

المراجع

ابن هشام الأنصاري، أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله، مغني اللبيب عن كتب الأعارب، الجزء الأول الطبعة الأولى؛ المكتبة العصرية: بيروت، ١٩٩١م.

الأفغاني، سعيد، من تاريخ النحو، الطبعة الثانية؛ دار الفكر، ١٩٧٨.

سيبويه، الكتاب.

الطحاوى، نشأة النحو.

ضيف، شوقى، المدارس النحوية، الطبعة الثالثة؛ مصر، دار المعارف.

مراتب النحويين.